المحاضرة الثالثة عشر

الحضارة الهندية: Indian Civilization

نشأت في وادي نهر السند وفي سهل روافده الخمسة (البنجاب) حضارة قديمة سبقت هجرة الأقوام الآرية (الهندو اوربية) الى الهند التي ابتدأت في الألف الثاني ق.م . ويرجح ان هذه الحضارة من الحضارات الأصيلة وان زمن نشوئها يقرب من زمن نشوء الحضارة السومرية والمصرية أي في بداية أو منتصف الألف الثالث ق.م ، سبقت ظهور هذه الحضارة الناضجة عصور حجرية طويلة من العصر الحجري القديم والحديث حيث وجدت آثارهما منتشرة في جميع شبه القارة الهندية. وقد نشأت هذه الحضارة الراقية في العصر الحجري المعدني ، وظهرت هذه الحضارة عام ١٩٢٠م بعد التنقيبات في مواقع متعددة أظهرت نشوء حضارة راقية في وادي نهر السند ذات مدن فخمة ومنسقة التخطيط ومنسقة الشوارع ومنازلها مبنية بالآجر ، وعرفت الفنون الجميلة والتعدين واشتهرت بالتجارة ، ووجدت بعض الآثار التي دلت على اتصالها مع الحضارة السومرية مثل الأختام الاسطوانية والأدوات المنزلية والآلات والأسلحة المصنوعة من النحاس وحلي من الذهب وأواني الفخار البسيطة والملونة.

واستعملت الحضارة السندية نوعاً من الكتابة الصورية التي لم تحل رموزها بعد بسبب قلة المخلفات التي عُثر عليها وربما يعود ذلك الى تلف المادة التي كتبوا عليها كالجلود والخشب ، وانهارت هذه الحضارة على يد الآريين الذين غزوا الهند في منتصف الألف الثاني ق.م وقد وجدوا عدة أقوام في الهند ومنهم (الناكَا) الذين يسكنون المناطق الشمالية ، وفي الجنوب (الدرافيديون) ذوي البشرة السوداء الذين كانوا متحضرين لما داهمهم الآريون الذي أخذوا منهم مبادئ الحضارة .

وبعد سيطرة القبائل الآرية على الأمور قاموا بالاستقرار واتحاد مجموعة منها ببعض مكونة دويلات في أنحاء القطر، يحكمها ملوك ومجلس شورى من المحاربين ، ويرأس كل قبيلة (ارجا) . ولما كان الآريون أقلية بالنسبة للسكان الأصليين فقاموا بالانفصال

التام عنهم وتحريم الزواج منهم والاختلاط بهم . وتعتبر كتاباتهم المقدسة المعروفة باسم (الفيدا) أفضل مصدر لمعرفة أوضاع الهند في عيد الفتح الآري .

وقد جاء العهد الفيدي(١٠٠٠-٢٠٠٠ق.م) عيد البطولة(٥٠٠-١٠٠٠ق.م) الذي يمثله أدب(المهابهراتا) و (الراميانا) اللتين كانت بمثابة (الالهاذة) و(الاوديسة) في الأدب اليوناني في عصور الأبطال.

وبعد توطد الاستقرار والاختصاص تثبت نظام الانقسام الى طوائف ففي رأس طبقات المجتمع ياتي: ١- المحاربين ، ثم ٢- كهنة (البراهمان) الذين لم يكن نفوذهم عظيماًفي مبدأ الأمر وانما كانوا مجرد مساعدين للرؤساء أو الملوك الكهنة ، ولكن ازداد نفوذهم بمرور الأزمان حين ازد استقرار المحاربين وشغلوا بصناعات السلم دون الحرب، وصاروا عدا وظيفة الكهانة الدينية معلمين ومحافظين لتاريخ الفاتحين ومآثرهم وآدابهم وشرائعهم حتى بلغ نفوذهم في المجتمع في زمن (البوذا) انهم نافسوا نفوذ الطبقة النبيلة المحاربة . وياتي بعد هاتين الطبقتين الحاكمتين ٣- طبقة التجار و ٤- طبقة الصُناع والعمال الذين يدخل فيهم معظم السكان الأصليين ثم ٥- طبقة المنبوذين المؤلفين من السكان الأصليين ممن لم يندمجوا بالفاتحين وممن أسرهم الفاتحون بالحرب.

ولا يعلم الشيء الكثير عن الديانة الهندية قبل الفتح الآري ولكن الالهة القديمة التي وردت في كتاب الفيدا فأصلها من قوى الطبيعة وعناصرها مثل الجو والشمس والأرض والنار والضوء والريح والماء. ولايوجد في الديانة الفيدية القديمة اشارات الى معابد تشيد للعبادة وانما كانت القرابين تقدم في مواضع عامة عند الحاجة ، ثم ايقاد النار المقدسة ومارسوا نوعاً من تضحية البشر.

وكان في الهند مجموعة لهجات ولغات آرية أشهرها (السنسكريتية) التي دونت بها كتابات (الفيدا) المقدسة ، أما الكتابة فالمرجح انها دخلت الى الهند عن طريق التجار في حدود القرن ٨ أو ٩ ق.م من الحروف الهجائية السامية.